

يَنْمُو بِحَذَرٍ



المِسْك للنشر والتوزيع

الكتاب: ينمو بحذر

المؤلف: محمد حسن السيد (سيتود)

التصنيف: شعر

عدد الصفحات: 74

الطبعة الأولى

1443 هـ - 2022 م

رقم الإيداع: 1818 / 2022

الترقيم الدولي: 6 - 78 - 6868 - 977 - 978

التدقيق اللغوي

والتجهيزات الفنية:

المِسْك

الغلاف:

ميرنا مجدي

مُحْفَظَةٌ
بِمَنْعِ قَوْنٍ

الناشر: المِسْك للنشر والتوزيع

العنوان: 9 شارع الجهاد - ميدان لبنان - المهندسين

موبايل: 01551241659 / واتس: 01200075730

E-mail: misk4book@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر، بل تعبر عن رأي المؤلف في المقام الأول.

يَنْمُو بِخَذَرٍ

شعر

محمد سينتود



المسك للنشر والتوزيع

2022

إهداء

إلى أبي.. وإخوتي،
الذين أَرَهَقْتَهُمْ بِحُزْنِي؛ فَأَكْرَمُونِي بِصَبْرِهِمْ.
وإلى الموسيقار.. عَمَّار الشَّريعي (رحمه الله)،
الكفيف الذي أَبْصَرْتُ بِمُوسِيقَاهُ مَا فَاتَنِي مِنْ حَيَاةٍ.
و... إِلَيَّ أَنَا،
الكائن المَوْجَّل الذي لم يَتَوَقَّفْ يَوْمًا عَنْ مُحَاوَلَةِ
العِيش بِسَلامٍ.

فوضى الجراح

على غَفْلَةٍ من هَوَاءٍ سَقِيمٍ

نَرَى وَرْدَةً في رِداءِ الصَّبَاحِ

على غَفْلَةٍ من مُرابٍ عَجُوزٍ

يَعِيشُ -مَدَى الصَّدْرِ- لَحْمٌ مُبَاخٍ

على غَفْلَةٍ من رُعاةِ الحُرُوبِ

تُفَيِّقُ الرِّسائِلُ في كَفِّ أَنْثَى

وَيَعْفُو السِّلَاحُ

على غَفْلَةٍ من حُطَى الطَّاعِيَةِ

تَدُورُ... تَدُورُ لَنَا سَاقِيَةٌ

وتنجو السنابلُ من غاصِيبِها

بتولاً.. فلا تَمَّ إلا اللّقاحُ

على غفلةٍ من هُراءِ المغيِّ

ومن غيرِ فَنٍّ

تؤلّفُ أوركسترا الأغلبِيةَ

نشيداً صَبِيّاً

تُغَنِّيه في وجهِ كلّ الرّياحِ

على غفلةٍ من ذئابِ المدينةُ

تعودُ السفينةُ

تعودُ لأصحابِها العاملينَ

مساكينَ في البحرِ.. قيدَ الكِفاحِ

على غفلةٍ من تراثِ القبيلةُ

تُحايِ الصّحارى مُجَبّاً نبيلاً

فيكسبُ بالشعرِ قلبَ الرّماحِ

على غفلةٍ من (أنا).... أحتويني

وأغرسُ في ظُلُمَتي يَاسْمِيني

فأهزِمُ بالحبِّ فوضَى الجِراحِ

حَلَمْتُ بِقُبْرِي

حَلَمْتُ بِقُبْرِي
أُنَيْمًا صَدِيقًا
كشايٍ على راحةِ الذِّكرياتِ

حَلَمْتُ بِهِ رُبَّمَا مَرَّتَيْنِ
وَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ؟ مَتَى كَانَ؟ أَيْنَ؟

هُوَ الْقَبْرُ - لَا رَيْبَ - لَكِنْ لِمَذَا
تَبَرَّجْتُ حَيًّا؟
وَمِنْ مَاتَ مَاتَ

حَلَمْتُ بِقُبْرِي مَلِيحًا فَسِيحًا
كَحُبِّ الدِّيَارِ

ومكتبتني فيه قلبٌ مُعاقٍ
يدقُّ يدقُّ بطولِ الجدارِ

حَلَمْتُ بأرجوحةٍ مُبدعةٍ
تُخادعُ فيّ الذي لا ينامُ
من الجرحِ
والمَلحِ والانهزامِ
وتسرقُ من أمهر المضحكينِ
رهانَ الفكاهةِ في الأفتعةِ

حَلَمْتُ بقبري
وظلّ الحبيبةِ يطهو حسائي
وإني أُحبّ طعامَ رضاها
أُحبّ التي
ما اشتهيتُ سواها
فكانت نسائي
حَلَمْتُ بقبري

وطفلٍ كما الوردِ
ينمو نشيدًا
ويتركُ حرفًا على النافذة
رأيتُ بعينه حزنًا رشيدًا
وفي الحلم هممتُ: ماذا إذا؟

ما بعد الهويّة

أصبح السّجنُ مُعزِّمًا بالسّجينِ
فتعالى، وقاسمِني عَجِني

كُنْتُ مصباحك اليطوفُ مَهَارًا
آملًا فيك أن أرى (ديوجيني)

قُلْتُ: أنتَ الذي اعتزلتَ المقاهي
قُلْتُ: من عُزلة الدُّمى .. أخرجيني

شاخت الحربُ والهويّةُ حُبلى
والنقاءُ احتقَى بطعمِ الهجينِ

فاصنّعي التاجَ من رغيْفِ المرايا
وعلى القلبِ -عاريًا- توجّيني

طُوبَى لِلْفِرَاغِ

للصفحة البيضاء

طُوبَى!

للرّصيف البكر ما قبل الخطى

طُوبَى!

لكلّ الدّاخلين على ارتعاش القُبلة الأولى

وللعُشب المِطَلّ

-بأوّل الشعرات-

من رأس التُّراب

طُوبَى أَيَا..

قلق البدايات التي

لم تعبّر الخطّ المدوّن بالطلاء

طُوبَى لها..

ولأَوَّلِ التَّكْوِينِ بِاسْمِ الطَّيْنِ
فِي أَيْدِي الصَّغَارِ الْأَسْوِيَاءِ

المَجْدُ لِلْحَرْفِ الَّذِي
مَا سَارَ فِي رَكْبِ الْكَلَامِ
المَجْدُ لِلشَّجَرِ الَّذِي مَا زَالَ
-قَبْلَ الظِّلِّ-

مَسْبُوقًا بِمَا شَاءَ الْغَمَامُ

الْيَوْمَ

أَصْرَحُ

عَالِمًا

تَحْتَ

الرَّحَامِ:

لَوَدِدْتُ أَنْ أخطَى

بِمَا مَلَكَ الْفَرَاغُ الْمُخَضَّ مِنْ دَفْءِ السَّلَامِ

كُفْرِيَات

لَأَنَّ الْكَهْفَ يَعْرِفُنِي بِوَشْمِي

سَيَفْتَحُ بَابَهُ

عَطَّرَ الْعِلَامَةُ

أَنَا الْمَنْقُوشُ

فِي الْجُدُرَانِ خَبْرًا

وَأَعْطِيَةً

وَحِضْنًا لِلْيَتَامَى

وَكُنْتُ هُنَاكَ قَبْلَ الْحَلَمِ

لَوْنًا

وَأُحْجِيَّةً تَوَارِثَهَا النَّدَامَى

أَنَا الْعِظْمُ الَّذِي أَلْقَاهُ طِفْلٌ

إِلَى جَوْفِ الظَّلَامِ

فَضَعْتُ مَيِّ

أنا الشكُّ الذي لا شكَّ فيه
وَأَسْكُنُ فِي اليقينِ
بِسوءِ ظني

بَحْتُ عَنِ الذي...!
فَوَجَدْتُ نفسي
وَبَعْضِي كَانَ يشبهني / كَأَنِّي

أنا سَفَرٌ
إِلَى ال لا شَيْءٍ يُفْضِي
أنا الخطوات:
خارطتي وأرضي
وَلِي حَبْلٌ سَيْرَ سَمِي بريئاً
وَلِي حَبْلٌ سَيَعَصِمُنِي، فَأَمْضِي

أَذَانٌ لَمْ يَرْفَعْهُ بِلَالٌ

حَشْحَشْ بِنَعْلَيْكَ بَيْنَ أَرَائِكِ الْجَنَّةِ
لَحْطَوَةٌ مِنْكَ تَمْسَحُ يُتَمَنَّا عَنَّا

نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا الْحَرِيَّةُ اخْتَلَجَتْ
فُئِمْنَا خِفَافًا إِلَيْهَا نَسْبِقُ الظَّنَّ

كُنَّا عَلَى الْأَرْضِ أَطْيَارًا مَوْجَلَةً
وَكَانَتِ الشَّمْسُ مَتَرَفَةً بِمَا كُنَّا

يَا صَخْرَةً فَوْقَ صَدْرِ الْحَرِّ جَائِمَةً
هَانَتْ عِظَامُ الَّذِي يَبْكِي، وَمَا هُنَا

دَمٌ سَخِيٌّ وَأَعْصَابٌ مَثَابِرَةٌ
تُهْدِدُ الْجُرْحَ بِالْأُوتَارِ لَوْ أَنَّ

حُرِّيَةُ الصَّوْتِ أَشْوَاقٌ مُبَارَكَةٌ
يَقُولُ سَامِرُهَا: مَا ضَرَّ لَوْ أَنَا...!

بِأَغْنِيَا تُضِيءُ الْقَلْبَ حِكْمَتُهَا
صَبْرًا نَسَمِيهِ فِي وَحْشَاتِنَا: فَنَّا

سُبْحَانَ مَنْ أَعْتَقَ الْأَصْوَاتَ يُرْسِلُهَا
جُيَمَةً فِي سَمَاءٍ غِيَمُهَا حَرٌّ

قُلْنَا: أَرِحْنَا؛ فَقَامَ الصَّوْتُ مُغْتَسِلًا
مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ.. لَا يَعْرِفُ الْمَتَا

هَذَا أَذَانٌ عَنِ الْغُرَبَاءِ نَرَفَعُهُ
يُخْصَّ كُلُّ بِلَالٍ صَوْتُهُ مِنَّا

في مدح براقش

أطلقها جَمْرَةً
من كُوءِ اللَّهْثِ الْمَسَافِرِ فِي الْعِظَامِ
أرسلها جَهْرَةً
لبرودة الصَّمْتِ الْمُفَحِّخِ بِالْكَلامِ

هي تَبْحَةٌ أُخْرَى
وننْجُو يا (براقشُ)
من ثعابينِ الظلامِ

هاتِ هذِي الصَّيْحَةَ الْكُبْرَى
مُبَارَكَةً

لثُرْشَدَنَا إِلَى كَهْفِ اللَّئَامِ
لا تَشْعُرِي بِالْعَارِ
كَلَّا يا (براقشُ)

أبْشِرِي..!
(قَطْمِيرُ) يُقْرِئُكَ السَّلَامَ

لِيسُوا سَوَاءً هَؤُلَاءِ
وَفَتِيَةُ الْكَهْفِ الْكَرَامِ
فَلْتَنْبَحِي
مَغْسُولَةً مِنْ كُلِّ تَارِيخِ الْخِيَانَةِ
حُرَّةً..
كَالْمَاءِ فِي كَنْفِ الْغَمَامِ

ها.. قَرَّرِي
وَتَحَيَّرِي النَّبَحَ الَّذِي يُفْضِي
إِلَى شَجَرِ الْعَدَالَةِ
ثُمَّ دُوبِي فِي الرَّحَامِ

قبل قجىء الفُراب

سلامة القلب أغنيتي، ومنديلي
صبرٌ يهشُّ على جرح القناديل

أنا الذي تدفعُ الأمواج مركبه
منذ اكتفيتُ بعهد الطين والنيل

خطيئي أنّ للفران متسعاً
من القبول وقد صعدت تراتيلي

لئن بسطت يد الحمقى لتقتلني
لن تلق إلا يداً من نسل هابيل

فخذ نصيبك من لحمي وكن شرهاً
فالله يعلم صناع الأباطيل

حُقى بريدية

"الصلاة والحُب كلاهما دون طهارة باطلان"

جبران خليل جبران

صُعِقَ البريدُ كعاشقٍ مخدولٍ
لما تصفَّحَ وارَدَ المحمولِ

واهترَّ في فَوْدِيهِ عُمْرُ أشيبٍ
ما بينَ حُزْنٍ مالحٍ وذَهولِ

هذي رسائلكم؟! أشاحَ بقلبه
متحصِّناً بزمانه المصقولِ

هذي رسائلكم؟! وأجهشَ باكياً
كبكاءِ طفلٍ في رَحَى المجهولِ

يا أرضَ أشواقِي التي كم راودتْ
مائي وبتَّتْ (هَيْتَهَا) هُطُولِي

سيجِيءُ عيدُ الحُبِّ دُبًّا أَحْمَرًا
وأعوذُ من دُبِّ يَكُونُ رَسُولِي

أنا صاحبُ الأوراقِ طفلُ سطورِها
وبها صعودي - في الهوى - ونزولي

فتذوّقي حَبْرِي وكَعَكْ رِسَائِلِي
عيدًا سعيدًا يا حِصَادَ حَقُولِي

أنا لستُ (نابليونَ) أحملُ عُقْدَتِي
وأزومُ بينَ بِنَادِقِي وَخِيُولِي

فالْحُبُّ - لا كالحربِ - زرعٌ صالحٌ
والأرضُ تعرفُ سِيرةَ المحصولِ

أنا مثلُ قافيتي كتابٌ طيّبٌ
آخاهُ يومًا عُمنا (مدبُولي)

ماذا عليكِ من الزّحامِ! وسائقي
يغزو الطريقَ برُخصةِ المخبولِ

ماذا عليكِ من المدينة! لم تزلْ
تترمي حُطايَ بهاتفٍ مشغولِ

ماذا عليكِ من الوسائط! أصبحتُ
سجنًا لنبضِ الخاطرِ المعلولِ

لا تُرسلِي قِرْدًا تغوصُ كُفوفُهُ
في مقلتيه كنسخةٍ لخنْجولِ

بل بلّلي - شَبَقًا - شِفاهَ قصائدي
بالموعِدِ المخبوءِ بين فصولي

الصمْتُ يسحبُ أكسجينَ ترقُّبي

سأموْتُ منتظرًا، برِّكْ قُولي!

بُوحِي ولا تَدْرِي ندائي مُهمًّا

كوثيقةٍ بخزانةِ المسؤول

بُوحِي بضعفكِ كي أراكِ قويةً

فتدُقْ في أرضِ اللغاتِ طبولي

أنا في زمانِ الشلِّ طيرٌ واجفٌ

رفقًا بريشِ جناحهِ المشلول!

فالغولُ يُغمضُ عينهُ متيقظًا

(هذي وصاياهمُ بشأنِ الغولِ)

ودَجا جئةُ الدرسِ القديمِ تبراَتُ

من قُولها وتقولُ ليسَ بقُولي

اليومَ يَعْنِينِي انْتِمَاؤُكَ لِي / هُنَا
ضُئِّي أَنَايَ كَوَاصِلِ مَوْصُولِ

فَأَنَا الْمُتَقَبُّ بِالظُنُونِ كَأَنِّي
غَرِبَالُ هَذَا الْكَوْكِبِ الْمَاهُولِ

وَخَرَجْتُ مَا يَكْفِي لِأَدْرِكَ أَنَّ لِي
مَا لَيْسَ يُسَعِّفُنِي أَوْ أَنَّ دَخُولِي

يَا أَيْنَ أَنْتِ مِنَ الْحَيِيبِ؟ تَعَثَّرْتُ
نُعْمَى لِقَاكِ بِحَظِّهِ الْمُنْحُولِ

لَكَأَنَّ عَالَمَنَا مَجْلُهُ مَا جَدِ
وَطَفِئَتْ تَحْتَبَيْنِ مِثْلَ (فُضُولِي)

مَازَلْتُ فِي الْمَنَى أَعَاقِرُ وَحَشَتِي
فَتَبَرَّجِي وَطَنًا يُبِيحُ قَبُولِي!

بصيرة الخفام

أفكّر في الحمامة إذ تنوحُ
أخلفَ هديلها المكسور نُوحُ؟

أُعاوِدُ بعثها فتزیدُ صدًّا
وتكبرُ في جناحيها الجروحُ

تُراوغني كأنّ الطينَ وهمٌ
وما للعضنِ ميقاتٌ يفوخُ

لقد بصُرتُ بما قد غاب عني
ولكنّ الرّسولة لا تبوخُ

وقلتُ: حمامتي، هل من سبيلٍ
إلى المرسى فقد شحّبَ الطموخُ

ظلمتُ سفيني وحذلتُ قومي
وهذا الماءُ ينقصُهُ الوضوحُ

عصايَ الأرضُ متكئًا عليها
أجولُ كما تشاءُ لي الفتوحُ

أهشُّ بها على الطوفانِ حتى
ينامَ الموجُ عَنَّا والنزوحُ

طَفِقْتُ أَلْمَلِمُ الرؤيا وأهذي
وملءَ القلبَ أشجارَ وسُوحُ

وفيكِ -الآنَ- أقرأُ كَفَّ بَحْرِ
يُسافِرُ بي إلى ما لا يلوَحُ

تَجْوَال

إلى/ نصير شمة.. ومن يحفظون أعمارنا بموسيقاهم

يا كيفَ تصعدُ كُلّما
هذا الحينُ بلَحْمِه
يدنوُ إليك مُسلِّمًا؟!

يا أيُّها الخشبُ الذي
كنا نظنّك أُنْكَمَا
فإذا بريشةٍ ساحِرٍ
تغريكُ أنْ تتكلّمَا

**

هذي الأصابعُ ما يها؟
جِبلتُ على (زريابها)
خاطتُ مواسمنا التي...!

في عبقريّ شبايها
فالبعضُ موسيقاهمُ
تدعو إلى أكوايها
**

يمشي الغريبُ لعوده
كأبٍ يعودُ لبيته
شوقاً إلى مولوده
فإذا استوى في حضنه
طفلُ الحنانِ المنتظرُ

سهرتُ مرّيا ما يجيشُ
بكلِّ قلبٍ من سيرٍ
تستحلبُ الوترَ المسافرَ
في قطاراتِ الصُورِ
فترى مراكبَ أمسينا
ما قبل تذكرةِ الخروجِ
ونشئُ عافيةَ المروجِ

ونرى الخُطى ..

شجرَ الطريقِ
الأمّهاتُ
دُكَّانَةُ الحَيِّ العتيقِ..
المدرسةُ
ظِلَّ الأسي
والأمنياتُ

يصحو الرماذُ
الحبِرُ...
والحبِرُ البدائي الحُنُونُ
وجهُ الحبيبةِ
والرفاقُ المتعبونُ

شيءٌ بهذا الصوتِ
ضدَّ الموتِ
يَسْحَبُنَا لفوضى الذاكرةِ
الآنَ، يُمكن أنْ تَرى
(عَيْنُ المِزَاهِرِ لَا تَحُونُ)

قراءات في كتاب الرحلة

وَهَنَتْ ذِرَاعُ الْقَلْبِ وَهِيَ تَعُومُ
فَبَكَتْ عَلَى الْبَرِّ الْبَعِيدِ غَيُومُ

وعلى سِبابِ الموجِ أنشدَ طائرٌ:
"إِنَّ الْجَزِيرَةَ مَوْعِدٌ مَشْؤُومُ"

وَأَنَا الْمَسَافِرُ مِنْذُ أَوَّلِ رَعِشَةٍ
لِللَّحْلِمْ أُبْرِمَ عَهْدُهَا الْمَرْعُومُ

تَقَبَّتْ مَنَادِيلِي دُمُوعٌ مُرَّةٌ
وَاعْتَالَ شَوْقِي حَنْجَرٌ مَسْمُومُ

هل تَمَّ عَافِيَةٌ (تُعَكِّرُ) ضَعْفَنَا؟
فلقد هَوَى عُكَازُنَا الْمَهْزُومُ

يا خازِنَ الوجعِ المذِلِّ بأرضنا
أحذَرُ! فكلَّ خبيئةٍ ستقومُ

ولربَّما عَصَفَ الترابُ بمِغُولٍ
لا شيءَ في هذي الحياةِ يدومُ

ألمٌ كبيرٌ في المدى ولطالما
سَطَعَتْ من الألمِ الكبيرِ نجومُ

مصبوغًا بنجمة

مَرَّةً

قابلتُ أُمِّي

قبل ميلادي بِعامٍ

كَانَ ذَلِكَ

ذاتَ مِنَّةٍ

في سماءِ الأُمّهاتِ

بعد خَلْقِ الذِّكْرِيَّاتِ

دنوتُ منها

صورةً كالشَّكْلِ أبْدُو

عندَ تشكيلي بتوقيتِ الأَجَنَّةِ

كنتُ مصبوغًا بنجمةٍ

فانطليتُ على الظَّلامِ

كنتُ بكاءً كطيني
وشريدًا كالخيام

خفتُ كالوجه الغريبِ
فاحتوتني بالحليبِ
وهيأتني للزحامِ
كنتُ... بل ما زلتُ طفلًا
بين عينيها ينام

شيخوخة

"لا تنجز أي شيء ورغم ذلك تموت منهاكاً"

إميل سيوران

أَضَفْتُ عَلَيْكَ سَيَاطُ الشَّوْكِ وَالْجَمْرِ
شيخوخة الوجه لا شيخوخة العمر

وَلَى شَبَابُ (نَوَاةٍ) لَا صَرِيحَ لَهَا
لَمَّا كَسَى الْوَهْنُ - جَوْرًا - قِشْرَةَ التَّمْرِ

تَمْضِي وَتَحْمِلُ أَيَّامًا مَلَوْنَةً
جَهْدَ الشَّحُوبِ وَمِلءَ الْأَعْيُنِ الْحُمْرِ

لَنْ يُصِيفُوكَ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الدُّنْيَا
أَوْ يَكْتُبَ الْفَتْحَ - عِتْقًا - مَالِكُ الْأَمْرِ

لَا بُدَّ مِنْ سِنِّمَار

دَعَوْتُ الْفَرَاشَةَ

قُلْتُ: اسْبِقِينِي إِلَى النَّارِ

قَالَتْ: تَعَجَّلْتُ حَتْفِي طَوِيلًا.. طَوِيلًا

فَمُتُّ أَنْتَ عَنِّي قَلِيلًا.. قَلِيلًا

لَأُحْطِيَ بِوَقْتِي فِي الْاِخْتِيَارِ

**

تَوَسَّلْتُ لِلظِّلِّ:

-ظِّلِّي، تَوَقَّفْ عَنِ السَّيْرِ خَلْفِي

فَقَالَ:

-أَنَا فِيكَ يَا (نَحْنُ) مِنْفِي

تَرَكْتُ لَكَ اللَّيْلَ -أُطْفَأَ-

فَدَعُ لِي مِنَ الْعُمُرِ

بَعْضَ النَّهَارِ

**

تَعَثَّرْتُ بِالْقَصْرِ:
يَا قَصْرُ، قُلْ لِي: أَلَا تَتَدَاعَى؟!
فَقَالَتْ حِجَارَتُهُ عَنْ يَقِينٍ:
سَمِعْتُكَ - سَخَطًا - تُنَادِي الْجِياعَ
تَمَهَّلْ بُنَيَّ!
فَلِلْحَصَنِ سَاعَةٌ
وَلَا بُدَّ - لِلشَّعْبِ - مِنْ (سَيِّمَارِ)

وُلِدُوا نِيَامًا

مَسَحَّ يُخَاتِلُهُمْ فِي جَبَّةِ الْأَمْرِ
مَا زَالَ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا قَمَرًا

جَاءُوا نِيَامًا إِلَى الدُّنْيَا فَمَا اعْتَنَقُوا
دِينَ النَّهَارِ وَلَا اتَّفَقُوا عَلَى شَجَرَةٍ

تَشَابَهَتْ رَغْوَةُ الْأَوْطَانِ فِي دِمِهِمْ
فَلَمْ يَعُدَّ يَسْتَدِيرُ الْقَلْبُ صَوْبَ قَرَى

يَا عَهْرَ مَنْ سَمَّمُوا تَفَّاحَ إِخْوَتِهِمْ
وَاخْتَارَ جَلَادُهُمْ تَكْفِيرَ مَنْ عَفَرَا

خَانُوا الْبِلَادَ الَّتِي خَاطَتْ وَسَائِدَهُمْ
وَذَوَّبَتْ فِي الْحَلِيبِ الْحَبَّ وَالسَّمْرَا

يا حُبِّثْ هَذي النوايا من يُوظِّفُها؟

خُذُوا الوثائقَ هاؤُمَ واقْرَأُوا: السُّفْرا

ما مَزَّقَ التَّيْلُ في أَعْيَ مواسِمِهِ

صحيفةَ السَّيْرِ بين الخُبْزِ والفُقْرا

ومَزَّقُوا ما يُوارِي لَحْمَ ثُرَيْبِها

وبارَكُوا شَهِدَها نُجَبًا لَمَن حَضَرا

كأَما اللُغَةُ العَصْماءُ قد نَصَبَتْ

شَراكَةَ الحَرْفِ بين الوِزْرِ والوزِّرا

هُم (سامِرِيُّونَ) ظَنُّوا عِجْلَهُم وَطَنًا

فَراهُنُوا الوَقْتَ بالدَّهَبِ الَّذِي حَسِرًا

وَنَحْنُ (موسَى) بِشَعْبٍ يَوْمَ زِينَتِهِ

تَلَقَّفَ القَصَرَ والحَيَّاتِ.. وانْتَصَرَ

يَنْمُو بِحَذَرٍ

حَبَلْتُ قَصِيدَتُهُ بِطِفْلِ
لَيْسَ مِنْ صُلْبِ الْكَلَامِ

فِي السِّرِّ،
عِنْدَ تَمَامِ شَهْوَتِهَا
بَكَتْ
لِدَقِيقَتَيْنِ مِنَ الْعَمَامِ

عَبَّرَتْ خَطِئَتُهَا سَمَاحَ الْوَاجِمِينَ
وَاصْطَفَّ
عِنْدَ الضَّفَةِ الْآخَرَى
هَتَافُ الرَّاجِمِينَ

مخاوف مطمئنة

كذّماثُ في جسدِ الذّكرى
تبدو كذّماثُ

كاميراتُ تبصُّقُ ما التقطتُ
بعضُ الكاميراتُ

وكوجهِ السائقِ في المرآةِ
الوقتُ يدوسُ
على الطرقاتُ

وأنا كالبرقِ أناديها
الأرضُ
النائحةُ
الثكلى

وأراقبُ من يُفسدُ فيها

يتمددُ

ظلاً ملعوناً

يأكلُ من لحمٍ تشظيها

أقراصُ الحلمِ مخدرةٌ

للجرحِ

كمصباحٍ شاحبٍ

والخوفُ عتيٌّ يا شغفي

يا

أوسع من

كفّ الصاحبِ

من أرشيف القسوة

صعدت على البرج تنوي وهب جثتها
إلى فراغ يُوازي عمق وحشتها

لا تسألوا الآن عنها ما بها عبثًا
فقد غفلتم كثيرًا عن حكايتها

هذي التي عبرت من تحت غلظتكم
كنسمة صُفَعَتْ لِسُفُورِ رِقَّتِها

هذي التي لم تجد قلبًا يعانقها
برحمة البر لا شبقًا بفتنتها

هذي التي من حجارٍ كان منزلهم

لا أقصدُ السُّورَ، أعني نبضَ أسرتها

هذي التي صرختُ في وجهِ مَنْ جَبُنُوا
تستعطفُ الشوكَ أَنْ يرثيَ لخطوتها

لكنَّهم قاسموا في لحيمها فرقاً
و استعذبوا النخبَ من أكوابِ دمعِها

الآنَ تصعدُ أعلى البرجِ خاويةً
من الحياةِ ومن صنّاعِ محنتها

هل يُهرعونَ إليها جَهْدَ خبيثتهم؟
هل يا ترى يعتريهم جُرْحُ خبيثتها؟

هل يفتحونَ بيوتَ الحبِّ أغطيّةً
من الحنانِ ثواسي طولَ وُحدتها؟

هل يهتفونَ ألا سَحَقًا لكثرتنا

يا كيف تهلكُ بنتٌ بين عُصبتها؟!

هل؟؟؟ يا إلهي! لقد قفَرتُ وأوجعني
ما كان ألَعَنَ من مشوارٍ قفَرتُها

فأسفلَ البُرجِ (جَوالاتُ) من حَضَروا
تُزاحِمُ الأرضَ في استقبالِ جُنتِها

المشهدُ الحيُّ والموتى قد انتصبوا
للْقِطَةِ الرُّوحِ في ريعانِ صَحْوَتِها

تناثرَ العُمُرُ بين الكاسدينَ دَمًا
فصوَّروا كلَّ شَيْءٍ من كرامَتِها

وأعجبَ القومَ ما التَّقَطَّتْ هواتُهم
فالأمُرُ عن صُورةِ مُثَلَّى وجُودِها

هذى الفتاة وإن سَقَطَتْ على مَضَضٍ

فالواقفون هُم الأولى بسقطتها

قد خلقت فوق بحرٍ من ضآلتهم
كطائر الشمس يرفلُ في أشعتها

شكرًا على الموت حيًّا كان في جسدٍ
أما تهُ الناسُ بالدنيا وغُرْبَتِها

ثم السلامُ على الإنسانِ في زمنٍ
باعَ الحياةَ بشاشاتٍ ولمعنها

وثيقة مُهَمَلَة

قَطْعُهُ خُبْرٌ بَيْنَ الشَّبَعِ
وَبَيْنَ الْجُوعِ
بَيْنَ اللُّطْفِ وَبَيْنَ الْقَسْوَةِ
كَفٌّ تَمْسُحُ خَيْطَ دُمُوعٍ
وَمَعَ هَذَا يَبْقَى الْعَالَمُ
دَوْمًا وَجْهًا غَيْرَ سَعِيدٍ

بَيْنَكَ أَنْتَ وَبَيْنَ الْآخِرِ
أَنْ تَمْزَحَ مَعَهُ بِصَفَاءٍ
بَيْنَ الْحَرْبِ وَبَيْنَ السَّلَامِ
سَلَاخٌ يَفْهَمُ:
أَنَّ دَمِي وَدِمَاكَ سَوَاءٌ

بَيْنَ الْوَرْدِ وَمَوْتِ الْأَرْضِ

دُحَانُ سَامٍ
بين العدلِ وبين الظلمِ
ضميرٌ نامٌ
بين الدينِ ودينِ آخرِ
أَنَّ الحَيْرَ كَأَلْفِ عِبَادَةٍ
بين الشعبِ وشعبِ آخرِ
أطماعٌ يُدْمِنُهَا القَادَةُ
هذي كَفِّي
أنا في صِفِّكَ، كُنْ في صِفِّي
لستُ بعيدًا.. لستَ بعيدُ
دعنا نجعلُ هذا العالمَ
وجهًا فوقَ الحُزْنِ سعيدُ

إليه، بعد أن كان... وقبل أن يكون

وَلَدَتَاكَ أُمُّكَ أَغْبَشَ الْعَيْنَيْنِ

مَهْزُولَ الْأَكْفِ السُّمْرِ

تَرْفُلُ فِي ثَرَابِ الْكَادِحِينَ

مِنْ زَحْمَةِ الطُّرُقَاتِ

مِنْ تَعَبِ الْأَثَقَةِ جِئْتَ

مِنْ فَاتُورَةِ الْأَوْجَاعِ

تُدْفَعُ - بِاتِّسَاعِ الْعُمُرِ - مِنْ عَرَقِ الْجَبِينِ

فَعَلَامَ تَوَغَّلُ فِي خِصَامِ الْفَقْرِ؟!

تَصْفَعُ صَبْرٌ مِنْ هَرَمُوا

وَتَبْصُقُ فِي رَغِيفِ الْعَابِرِينَ!

مَنْ أَنْتَ فِي الْمَرَاةِ؟

هل ما زالَ ظَهْرُ أَيْبِكَ مُحْنِيًّا لِيَنْتَصِبَ الْأَمَانُ
هل ثوبُ أَمِّكَ ما يِزالُ يُحْنِي الحُلَى
ويجدلُ عُقدتينِ من الحنانِ؟

من أنتِ في المرأة؟
أَيْنَ بناتُ حَيْكِ يَحْتَمِينَ بِخَطْوِكَ الْأَبْوِيَّ من غَزَلِ صَفِيْقٍ
ما كان يُرْجى يا سَخِيَّ الوَعْدِ
من ماعونِ سَتْرِكَ أَنْ يَضِيقَ

من أنتِ في المرأة؟
يا كَيْفَ اسْتَعَرْتَ وَجْهَهُ كُلَّ المَوْبِقَاتِ؟
من أين جاءَ المِخْلَبُ الوحشيُّ؟!
هذا النابُ.. وَالزَّيْدُ المِجْبَأُ بِالرُّفَاتِ؟!

ما أَرْحَصَ الكُرْسِيَّ!
يطرُدُ ذَكَرِيَّاتِ الطَّيْنِ من كَتْفَيْكَ
يَنْفُثُ في جِوَارِحِكَ الدُّحَانُ
تَحْتَاحُكِ اللُّغَةُ اللَّيْمَةُ

يرقصُ الوسواسُ في أذنيكَ
من طربِ جبانٍ:
(صَه، لو يشاءُ اللهُ أطعمَهُمْ؛
فكُنْ سيفَ المساعِبِ
لا تَكُنْ دِفءَ الحِوانِ)

يا فتنة الأحزاب!
يا حُبَّتِ الذينَ تَنقُلُوا في قسوةِ الأصلابِ
فانطفأ المخاضُ
رُحماكَّ! لا تدنُّو من الأبوابِ
قاتِلِ قُبْحِكَ الِ يَخْتالُ في الجِلبابِ
هذا الجِرْحُ فاضُ
يا سيّدي المصنوعُ من بردِ العُراةِ
ومن صفوفِ الخبيّةِ الكُبرى
وأرصِفَةِ العَناءِ
يا ناسِجًا من لعنةِ الموتى قَمِيصَكَ
كيف طابَ لكَ الرِّداءُ؟
يا سيّدي المسؤولَ

عن غيبوبة المنفى
ونبض المترفين بكلّ داءٍ

كُنْ ظِلَّ هذا الشَّعْبِ
كم صُلِبْتُ حوائِجُهُ على الظُّلُماتِ
فانتخب الدُّعاءُ
كُنْ وَرَدَ هذي التّضحياتِ / الآنَ
قُمْ لمواكب النّاجينَ
سدّدْ ما عليك من الوفاءِ
أشفقْ على المنديلِ
قُلْ للنَّيلِ:
يكفني ما أُريقَ من البُكاءِ!

لوددتُ يا (سودانُ) أنّ سهولَكَ الخرساءَ
لم تُرزَقْ ب نيلٍ
لوددتُ أنّ الحُزنَ لا يزدادُ طولاً كالنخيلِ
يا يُتَمّ هذي الأرض!
يا أسفًا على ذهبٍ تحجّرَ

تحت أغطية البخيل
سرُّوك؟ لا
سرُّوا بذور الخُلم جيلاً بعد جيل

يا آخر الأشواق،
يا بئراً حفرنا وعدّها المنحوت
من عطش السنين
اليوم...

إن حوصرت بالقسم الوزاري الرّصين
وتبرّج الكرسي
- كالتفاحة الأولى -
يسرُّ الناظرين
فاكشِف لعُري الكائن الطيني
- عمداً -

عن لباس الزائدين
واندُنْ لكفك أن تمسّ المصحف الجلدي
تنهل من مقام المُهسطين
واخفض جناح الدُّل للوطن الذي صُلّي

فَطِيبَ رِزْقَهُ رَبُّ
يُبَارِكُ غَرْسَ كُلِّ الرَّاحِمِينَ

آيها الشعب العظيم

(بيانات حكومة لا تريد أن تسقط)

هذا بيان من حكومة أرضكم
يا معشر الشرفاء في السودان

كشفت مصادِرنا ونعلم صدقها
أمرًا يُثير الرعب يا إخواني

الآن يسعى في الشوارع بينكم
-وعلى مدى شهرين- شعب ثانٍ

شعب يُشابهكم وليس كمثلكم
حاشا، فأنتم إخوة الإيمان

شعبٌ يُنادي - والعياذُ برّتنا -
بسقوطِ حُكْمٍ لَوَدَّعِي حانِ

خَدَشُوا الحياءَ بما تَلا سَفْهاؤُهُم
جَهْلاً، فوا كَبدي على أوطاني!

حُرِّيَّةٌ، سِلْمٌ، وقيلَ عدالةٌ
تلكُمُ لَعْمري فتنةُ الشيطانِ

ولذا نناشدكم ونرجو عونكم
في دَحرٍ مَن خرجوا لِحَرْثٍ فانِ

لا تَمَنَحُوا ثَقَةً لأَيِّ مواطنٍ
في نَفْسِهِ شيءٌ من العِصيانِ

وتفرّسُوا في كلِّ صوتٍ عابِرٍ
حتى يَليَنَ بنبرةِ الإذعانِ

وَتَقَحَّصُوا-فَضْلاً-نَوَايَا أَهْلِكُمْ

وَتَرَبَّصُوا بِخَوَاطِرِ الْجِيرَانِ

سَنَقَاتِلُ الشَّعْبَ (الدَّخِيلَ) بِعِزِّكُمْ

وَسَيَنْكِصُونَ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ

رسالة لم يكتبها سيرانو دي برجراك

(١)

نشأتُ قصيراً

كطاولةِ الطّفلِ في المدرسةِ

كثيرَ الندوبِ

كجلدِ الأسي

ترعرتُ وجهًا فقيرًا من الحُسنِ

أملكُ قصرًا على تلةِ الحُزنِ

يبدو مُنيقًا

وعِشتُ عفيفًا

نظيفًا

كجيبِ الموظفِ بعد الخروجِ

من السّوقِ

رَحِبَ الشقوقِ

بما يستبدُّ به الفأرُ عند الفراز
أنا المستشارُ
يُسألني الصبرُ:
كيف يَخِيطُ لأبنائه مُدَقِّعَ الأمنيات؟
أنا كالخزانةِ
لكنَّ ذنبي... سفاهة قلبي
(تُبددُ مالي على الذكرياتِ)
**

(٢)

لكلِّ ابتلاءٍ - على ما أظنُّ - ستارُ
يُخبِّئُ أمرًا حكيمَ
لعلِّي
إذا
ما
وُلدتُ
وسيمًا
لكنْتُ شقيتُ بلخطي الوسيمِ

ولكنّ رحمة ربِّ رؤوفٍ
أرادتْ لمساعي أن يستقيم
فما غازلتني الحسانُ الغواني
ولا راودتني بما (هيئت لك)
بل اتّسعت كلّ نظرة أنثى
لتبصّق في السرّ:
ما أردلك!

**

(٣)

أنا الآن في أربعيني مدينٍ
لكلّ الذين بنوا عُربتي
مدينٍ
لمن مرّ منّي -مليّاً-
ولم يُبصر النارَ في جذوتي
أنا
الطائرُ
ال عِشْتُ

عرضَ السماواتِ
أطوي المحيطاتِ
من غرْفِي
أنا
عاشقُ
البحرِ
والمعرفةِ
أنا سَبَقُ ما اعْتَرَتْهُ (كَفَى)
أَرَحْتُ اشتِهائي
لدى كلِّ ذكرى
وحُزْتُ الفحولةَ
من كلِّ عِبرَةٍ
طمشتُ فراشَ الغيومِ العذارى
أشاهدُ... أسمعُ... أسألُ.. أقرأ
لكي
يكبرَ
الضوءُ

في نجمتي
أنا -الآن- لستُ الذينَ
تعرُّوا بـ كُلِّ
لبعضِ التي.....!

شيء من الرؤيا

يُعَوِّضُكَ الْمُهَيْمُنُ يَا بِلَادِي
بَعْمَرٍ لَا يَكْفُ عَنْ الْحَصَادِ

وَتَنْهَضُ مِنْ رَمَادِ الْخُزْنِ أَنْثَى
بَلَا أَثَرٍ لِأَيَّامِ الرَّمَادِ

وَفِيكَ تَمَسُّ كَفُّ الْغَيْبِ جُرْحًا
فَيَبْرَأُ مِنْ سُموْمِ الْاضْطِهَادِ

أَرَى عَهْدًا يَجِيءُ وَأَنْتِ فِيهِ
قِصَاصُ الْمَرْهَقِينَ مِنَ الْحِدَادِ

سَيَنْفُذُ - يَوْمَهَا - طَيْرٌ لِقَبْرِ

لِيُؤْنِسَنِي بِمَا قَالَ الْمُنَادِي

مؤامرة لتحريف دماء موثقة

يقولُ كتابُ الفَقْدِ ما نأح فهِرَسُ:
جليسُك -لو تَدْرِي- فِيا أَيْنَ أَجْلِسُ؟

أَسَرَّ لِي الشَّهْدَاءُ عَن خِيبةِ الرُّؤى
وعن رايَةٍ تُطوى وَهَرٍ يُدَنِّسُ

فَقَلْتُ لَهُمْ إِنِّي ضَمِيرٌ مَوْرَخٌ
يُحَدِّثُ بِالْمَوْتِ إِذَا الْوَقْتُ أَخْرَسُ

وأَفْضَى لَهُم حَبْرِي بما صارَ بَعْدَهُم
فقد سَرَقَ الحُرَّاسُ ما كانَ يُحْرَسُ

تَشَكَّلَ قَوْمٌ مِن مَراحِضِ بُؤْسِنَا

نَجَّاسَتُهُمْ مِنْ طَعْنَةِ الْعَدْرِ أَنْجَسُوا

لَهُمْ فِي سَرِيرِ الْإِثْمِ نَوْمٌ مَعْلَقٌ
تُرَاوِدُهُ الْأَشْبَاحُ مَا دَامَ يَنْعَسُ

لَهُمْ وَخْزَةٌ فِي كُلِّ جُوعٍ يَشُقُّنَا
وَفِي كُلِّ بَرْدٍ مَا نَجَّى مِنْهُ (بِهَنْسٍ)

يُسَاوِمُهُمْ رِجْسُ الْهَوَاءِ لِيَكْذِبُوا
وَفِي الصَّدَقِ مَا يَكْفِي لَكِي يَتَنَفَّسُوا

يُذَكِّرُهُمْ طَيْرُ الْحَبِيبَاتِ أَرْضَهُمْ
فَتَكْبُرُ أَشْجَارُ الرَّمَادِ بِمَا نَسُوا

نُشَاطَرُهُمْ سِرَّ التَّجَاعِيدِ صَحْوَةً
فَتُغْرِيهِمُ الْغَفَوَاتُ أَنْ يَتَجَسَّسُوا

هُمْ الْقَدَمُ الْخُرْقَاءُ تَخْطُو سَفِيهَةً

على كلِّ ما ينمو - نديًّا - ويُعرسُ

ولكنَّنا الرِّمضاءُ تَكوي جلودهم
جحيْمُك نحنُ - الآنَ - يا كيفَ تلمسُ؟

نموتُ بِنِصْلِ الأَقْرِبِينَ وَحُسْبُنَا
يُحْلِقُ - باسمِ القادِمِ الحَرِّ - نَورُسُ

سُتْرُهُرُ يومًا هذه الأرضُ بعدنا
ويحْنُو على الأحفادِ نَيْلٌ مُقَدَّسُ

الفهرس

5	إهداء
7	فوضى الجراح
10	حلمت بقبري
13	ما بعد الهوية
14	طوبى للفراغ
16	حفريات
18	أذان لم يرفعه بلال
20	في مدح براقش
22	قبل مجيء الغراب
23	حمى بريدية
28	بصورة الحمام
30	تحوال

- 33 قراءات في كتاب الرحلة
- 35 مصبوعًا بنجمة
- 37 شيخوخة
- 38 لابد من سنمار
- 40 ولدوا نيامًا
- 42 ينمو بجذر
- 44 مخاوف مطمئنة
- 46 من أرشيف القسوة
- 50 وثيقة مهمة
- 52 إليه بعد أن كان وقبل أن يكون
- 58 أيها الشعب العظيم
- 61 رسالة لم يكتبها سيرانو دي برجراك
- 66 شيء من الرؤيا
- 68 مؤامرة لتحريف دماء موثقة
